

10

قصص الصحابة

سيرة
الشهداء

سلوى العناني

دار اللطائف
للطباعة والنشر

سيد الشهداء

(حمزة بن عبد المطلب)

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة

إلى جنة يحيا بها وسرور

فذلك ما كنا نرجى ونرجي

لحمزة يوم الحشر خير مصير

صفية بنت عبد المطلب (أخت حمزة)

لو قلبنا صفحات التاريخ كلها بحثاً عن صاحب اسم

يقارب صاحب هذا الاسم صلة بالنبي محمد - عليه

السلام - لما وجدنا ..

هذا هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ..

عم النبي الكريم .. وهذه هي الصلة من جهة الأب ..

فماذا عن الصلة من ناحية الأم ؟

إنها هي الأخرى وطيبة ولصيقة ..

(فانته بنت وهب) أم النبي الكريم هي ابنة عم (هالة

بنت أختب) أم حمزة .. إذا فهما في حكم أولاد (الحالة)



وهما يعدّان وقبلة أحزان في الرضاعة .. حيث أرضعتهما
(ثوية) جارية (أبي قبي بن عبد المطلب) عم النبي وشقيق
الحزّة .. هما .. (محمد) و(حزّة) متقربان في العمر
ومتحدان في الرضاعة ولصيقان في النسب ..

لكن طفولة الرجلين لم تكن متشابهة ..

فهذا (محمد اليتيم) .. يحب العزلة والتفرد بنفسه .. يتأمل
الكون ويطرح على نفسه أسئلة عن صانع هذا كله
وخالقه .. يرمي الأغنام ويتعدّد عن كل أماكن اللهو ..

أما (حزّة بن عبد المطلب) فكان مختلفاً .. فقد نعم بحنان
أبيه حتى بلغ الثامنة .. وبعد موت أبيه نهل من حُضن أمه
(هالة) من الرعاية والعطف ما عوّضه عن فقد أبيه ..

وكان (حزّة) فتى قوي البنية .. يناطح أترابه ويسارع في
سباقهم ويؤمهم في ركوب الخيل وفنون القتال وهو لم يزل
صغيراً .. أما الصيد فقد كان هوايته الأولى .. يخرج للفلاة
كل صباح حاملاً سهانه فيباري أترابه ويحقق تفوقاً على
غزلان الصحراء وطيورها .. في الخفة والسُرعة .. وكثيراً ما
عاذ إلى بيته مع غروب الشمس حاملاً صيده ..

لم تكن حيلة حمزة هي الصيد والمغامرة والتدريب على
فنون القتال فقط .. بل كانت مع هذا .. مشاركة طقوس
قريش ودوراً في قيادة شئون الحيلة .. لم لا .. وهو ابن أشرف
بيوتها وأعلاها نسباً ؟!

أصبح (محمد) هو حديث أهل مكة كلها ..

الفقراء يتكلمون عن جنة العدل والمساواة والحق وعن
دين يقول : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
غَبِيرٌ﴾ .

والأغنياء يعارضون هذا الذي يُسَفِّهُ أفكارهم ويدعوهم
لعبادة إله واحد .. ويريد أن يحطّم أصنامهم ويأمّره ألا
يسجدوا إلا لله الواحد القهار ..

الفقراء يتسللون إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم .. يحفظون
عن النبي ما أوحى إليه من القرآن ويصلون خلفه
ويبتهلون .

والأغنياء يرفعون أصواتهم عند الكعبة معلّنين رفضهم
واعترافهم بل ويحرضون الآخرين لغاربة (يتيم بني هاشم)
ومناهضة أفكاره وأقواله .



فَمَلَا عَنْ أَشْرَافِ بَنِي هَاشِمٍ ؟ مَلَا عَنْ أَهْلِ (مُحَمَّدٍ)
وَعَشِيرَتِهِ ؟ مَلَا عَنْ أَعْمَامِهِ وَأَسْرَتِهِ ؟

كَانَ هُنَاكَ مِنْ أَهْلِ (مُحَمَّدٍ) مَنْ آمَنَ بِهِ .. فَقَدْ آمَنَ بِهِ كُلُّ
أَهْلِ بَيْتِهِ : زَوْجَتُهُ (خَدِيجَةُ) وَمَوْلَاهُ (زَيْدٌ) وَابْنُ عَمِّهِ
(عَلِيٌّ) .

وَكَانَ هُنَاكَ مِنْ أَهْلِهِ وَمَنْعَ عَنْهُ الْأَذَى مِثْلَ عَمِّهِ (أَبُو
طَالِبٍ) .. فَمَلَا عَنْ (حِزْبَةٍ) ؟

كَانَ (حِزْبٌ) هُوَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى (مُحَمَّدٍ) وَأَكْثَرُهُمْ مَعْرِفَةً
بِصَدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ .. وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ حَدِيثَهُ كُلَّهُ صَلَقٌ وَحَقٌّ ..
لَكِنَّهُ كَانَ يَحْلُمُ بِالسِّيَافَةِ وَالزَّعَامَةِ بَيْنَ سُلَاقَةِ قَرِيشٍ
وَزَعَمَائِهَا ..

وَكَانَ (مُحَمَّدٌ) يَرْقُبُ عَمَّهُ وَيَعْرِفُ نَفْسَهُ الصَّافِيَةَ وَرِجَالَةَ
عَقْلِهِ وَيَعْرِفُ قُوَّتَهُ وَفَتْوَتَهُ وَيَتَمَنَّى إِلَى جَوَارِهِ يُؤَيِّدُهُ وَيُؤَازِرُهُ ..
وَيَنْتَظِرُ لِحَقْلَةٍ يَتَبَرَّأُ فِيهَا اللَّهُ بِصِيرَتِهِ ..

كَانَ (حِزْبٌ) عَائِدًا مِنْ رَحْلَةٍ صَيْدٍ عِنْدَمَا سَمِعَ مِنْ يَنَادِيهِ
هَاشِمًا ، فَتَلَفَّتْ حَوْلَهُ لِيَجِدَ وَاحِدَةً مِنْ خَدَمِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
جَدْعَانَ) تَتَجَهَّ إِلَى اللَّهِ بِالْحَدِيثِ :

(يا أبا عمارة .. لو رأيت ما لقي ابنُ أخيك (محمد) أنفا
من أبي الحكم بن هشام) .

فسألها (حمزة) في لطفة : ماذا حدث ؟

- وجده جالسا فسبه وأذاه ، وبلغ منه ما يكره ، فانصرف
عنه (محمد) ولم يكلمه .

واشتعلت الثورة في رأس (حمزة) .. وهاج وغضب ..
فكيف يُلحقُ هذا الأحمقُ (أبو جهل) الأذى بأخي وابن
أخي وابن خالتي ثم لا أسمع عنه ما يؤذيه ؟ .. كيف يحدثُ
هذا وأنا أحيأ على هذه الأرض ..

واسرع (حمزة) الخطوة في اتجاه الكعبة قاصداً (أبي جهل)
حتى وجده جالسا وسط مجموعة من التجار والأشراف ..
وكانه صقراً يعرفُ فريسته .. رفع (حمزة) قوسه فضرب به
رأسَ (أبي جهل) فشجّه .. وسال الدمُ على وجه الرجل ..
ونظر متعجبا مثلما نظر كلُّ من حوله .. وقد بدا في العيون
سؤالٌ واحدٌ .. لماذا تضرب (يا حمزة) هذا السيدَ فتسيلُ منه
الدم ؟

وقبل أن يفوق الجلوسُ من صدمتهم .. جاء صوتُ (حمزة)



وكانه يخرج من فوهة بركان ..

أنتشم (محمد) وأنا على دينه أقول ما يقول .. ثم نظر
الحزرة إلى (أبي جهل) في تحدّ قائلاً : ردّها عليّ إن
استطعت .

وهمّ بعضهم قائماً يردّ على (حزرة) ما صنّع (بأبي
جهل) .. لكن الأخير رَفَعَ يَدَهُ إليهم بمنعهم قائلاً : (دعوه ..
فقد سببت ابن أخيه سبّاً قبيحاً) ..

ووسط ذهول الجميع أعاد (حزرة) قومه إلى مكانها
ومضى إلى بيته ..

عاد (حزرة) إلى بيته وقد ازدحمت رأسه بالأفكار ..

عاد يتساءل عما حَدَثَ .. وَكَيْفَ حَدَثَ .. ولماذا حَدَثَ ..

لقد أعلن على مَسْمَعٍ من مجموعة كبيرة من زعماء
قريش ووجهائها أنه قد أسلم .. أنه يتبع دين ابن أخيه
(محمد) .. وهذا أمر لم يحدث .. فهو لم يسمع إلى حديث ابن
أخيه ولم يسأله عنه رغم أنه موثق من صدّيقه فمماذا يقول
(محمد) .. إلى أي شيء يدعو .. لا بد أن يعرف .. لا بد أن
يسمع وأن يفتش ..

لقد أعلنَ (حمزة) إسلامه في لحظة انفعال .. وهذا أمرٌ لا
يستقيم وعقلُ الرجلِ وذكائه ورجلته .. أَيْغَيِّرُ دينَه في لحظة
غضبٍ .. وتقلبَ (حمزة) في فرائشه .. فكيف يزوره النومُ
بعدما حدثَ ، ومع غيوطِ الصباحِ الأولى ذهبَ (حمزة) إلى
الكعبة فاتجه إليها بوجهه وقلبه وراحَ يناشدُ عقله وقلبه أن
يدلّه على الصوابِ ..

ويعون الله .. أدرك الصوابَ ..

ويحكى (حمزة) عن هذه الأيام العصبية من حياته فيقول :
(أدركني الندمُ على فراق دين آبائي وقومي ، وبثُّ من
الشكِّ في أمرٍ عظيمٍ لا أكتحلُ بنوم .. ثم أتيت الكعبةَ
وتضرعتُ إلى الله أن يشرحَ صدري للحقِّ ويذهبَ عني
الريبَ .. فاستجابَ الله لي وملا قلبي يقيناً .. وغدوتُ إلى
رسولِ الله فلخبرته بما كان من أمري فدعا الله أن يثبتَ قلبي
على دينه ..)

وهكذا أعزَّ الله دينه بهذا الفتى الهاشمي وكان انضمامه
إلى كتبة الإيمان تقويةً لموقفِ المستضعفين من أتباعه ..
وواظبَ (حمزة) على حضورِ مجالسِ النبي وسماعِ دروسه

حتى أصبحت تعاليم الإسلام تجري في عروقه مجرى الدم
وفي صدره مجرى النفس ..

ويكفينا كي نعرف أثر انضمام (حزّة) إلى كتيبة المسلمين
أن نذكر هذا اليوم الذي دقت فيه قبضة (عمر بن
الخطّاب) القويّة باب (دار الأرقم بن أبي الأرقم) وارتعد
البعض خوفاً .. يومها تقدم (حزّة) يفتح الباب وهو يقول
لمن معه :

(لا ترأعوا .. إن كان عمر قد جاء يريد منا خيراً بذلناه
له ، وإن كان يريد بنا شراً قتلناه بسيفه) .

فمن غير (حزّة) كان يستطيع أن يقول مثل هذا .. ومن
غيره كان يمكن أن يقف مثل هذا الموقف ..

تزوج (حزّة بن عبد المطلب) من (سلمى بنت عميس)
وهي أخت شقيقة (لأسماء بنت عميس) التي تزوجت من
(جعفر بن أبي طالب) ابن عم النبي - عليه السلام -
وهاجرت معه إلى الحبشة ..

والى المدينة المنورة هاجر (حزّة) ليكون مع ابن عمه
وأخيه ورسوله ونبيّ دينه .. هاجر (حزّة) مع صفوة الصحابة

وقد ترك زوجته (سلمى) ووحيدته (أميمة) بمكة .. وأخى
النبي - عليه السلام - بينه وبين (جيه) (زيد بن حارثة) .

لم تكن هجرة الرسول وصحبه إلى يثرب هي بداية
الهدوء والاستقرار للمسلمين .. بل كانت بداية النضل
السياسي والعسكري لتوطيد أركان الدولة الجديدة ..

وبدأت السرايا والحملات تخرج حاملة لواء الإسلام
ويحمل (حمزة بن عبد المطلب) أول هذه الألوية .. ويكون
أول من حمل لواء في الإسلام ..

ويكون (الحمزة) الضربة الأولى في موقعة (بدر) عندما
صرخ (الأسود بن عبد الأسد المخزومي) .

وفي أول مبارزة بين المسلمين وفرسان قريش .. برز حمزة
ابن عبد المطلب وعليه بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث ..
وتفوق سيف الإسلام في يد أبناء الإسلام .

وكان (حمزة) واحداً من أبرز فرسان المعركة .. أطلق سيفه
برقاب غير قليل لزعماء الشرك وقادة الضلال .. وإذا كان
المسلمون قد اجتمعوا ليكتبوا قصيدة نصرهم في (بدر)
دفاعاً عن الدين الحق .. فقد كان حمزة شرفاً تستطير أعلام

آيات هذه القصيدة وإنشاد قوافيها ..

وتقتلُ القلوبُ المشركة غيلاً فوق غُلَّها .. وهم يذكرون
(حمزة) كلما تذكروا مصرع رجلٍ منهم أو مقتل فارسٍ ..
وما أكثر من صرعٍ أو قتلٍ ..

وجمعت قريشُ فرسانها واستمالتُ من استطاعت من
القبائل وحملتُ ما لم تحملُ من قبلُ من السلاح والعتاد كما
حملتُ في قلوبها ما لم تعرفُ من قبلُ من حقدٍ وغلٍّ ورغبةٍ
في الانتقام ..

عامٌ كان قد مرَّ على موقعة (بدر) .. فضله المشركون في
الاستعداد للانتقام حتى امتلأت القلوبُ بالرغبة في
القضاء على هذه الدعوة الجديدة التي قُتلَ اتباعُها قلائدُهم
وفرسانُهم حتى أصبحت قريشُ وفي كل بيتٍ من بيوتها
مأتمٌ .. ودعوةٌ للثأر ..

وكان (حمزة بن عبد المطلب) هو أولُ الأسماء - بعد رسول
الله - التي اتجهت إليها دعوة الانتقام حتى أصبح وحده
(جيشاً) يُرادُ هزيمته وقهره ..

وفي (أحد) التقى الجمعان .. قاتل المسلمون قتل العقيقة

دفاعاً عن دينهم وعن نبيهم .. وقاتل المشركون ثلثاً لعل
لحق بهم وإطفاءً لنار الانتقام في صدورهم ..

وكان النصر لجند الله .. وبدأت قلوب الكفار في
الانسحاب .. وخالف الرمة المسلمون وأمر نبيهم
وقائدهم وراحوا يجمعون الغنائم .. وانتهزها المشركون
فرصةً وهاجموا المسلمين من الخلف .. واختل ميزان
المعركة ..

وسقط هذا الصراع كأن (حمزة بن عبد المطلب) هو
الفرس الضوال الجوال يحصد سيفه رقاب الأعداء ولا
تخطئ ضربته أبداً.. إلا أن عبداً حبشياً كان يترصد به .. جاء
هذا العبد إلى أرض المعركة حاملاً رعه الذي يجيد
استعماله وليس له إلا هدف واحد (حمزة بن عبد
المطلب) .. فقد وعده سيده (جبيش بن مطعم) أن يعتقه إذا
قتل (حمزة) كما وعدته (هند بنت عتبة) زوجة (أبي
سفيان) أن تهديه فلاندها وأقرطها الثمينة إذا قتل (حمزة) .

وراح العبد الحبشي (وحشي) يبحث عن هدفه وسط
المعركة .. وراح يتخفى ويلتصق بالبحث حتى أبصر (حمزة)

فقدته بحريته التي لم تخطئ فأرداه شهيداً ..

سقط (سيدُ الفرسان) (أسدُ الله) شهيداً على أرضِ
معركةٍ (أحب) بعد أن أبلى بلاءً ليس بعده بلاءٌ ..

إلا أن موتَ حمزةَ وحده لم يشفِ غليلَ الموتورين ولا
الحاقدين فمَثَلُوا بجثته .. بَقَرُوا بطنه وانتزعوا كبَلَه ..
وقطعوا أذنيه وأنفه وبعضَ أجزاءٍ من جسمه .. يالها من
فظاعةٍ ..

إنها أمورٌ لم تكن تعرفها العربُ .. أمورٌ تتنافى مع أبسطِ
مشاعرِ الإنسانية .. وكيفَ يعرفُ هؤلاءُ الأثون من مشركي
قريشِ مبادئِ الإنسانيةِ أو شعورَ البشرِ ؟
وانتهت المعركةُ وعلَّزَ المشركونَ إلى مكةَ .

ونزلَ المسلمونَ أرضَ المعركةِ يفتشون عن شهدائهم ..
كلما رأوا واحداً تَرَحَّمُوا عليه وتذكَّروا فضلَه على أهله
ودينِه ..

إلى أن رأى رسولُ اللهَ (حمزة) ..
كانتَ لحظةً قاسيةً على نفسِ النبي أن يرى أحبَّ الناسِ
إلى قلبه وقد سقطَ شهيداً ثم مثَّلَ أعداؤه بجثته ..

وخرجت الكلمات من بين شفطي النبي ممزوجة بدمع
الأسى وقل : (لن أصاب بمثلك أبداً .. وما وقفت موقفاً
قط أغبط من موقفي هذا) .

وصمت النبي برهة وكأنه يستجمع شتات نفسه ثم قل :
(لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن ،
لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم) .

هكذا كان حزن النبي على عمه (أسد الإسلام) عظيماً
حتى قال إنه سينتقم له من أعدائه ويصنع مثل ما صنعوا
مع ثلاثين من رجالهم .

لكن الله أراد أن يعلم نبيه ويعلم معه المسلمين درساً
عظيماً في العفو والصبر .. فنزل الوحي الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ
بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ
وَلَا تَكُ فِي ضَلَّتٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ
هُمْ مُخْسِنُونَ ﴾ [النحل : 125 - 128]

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (هَلْ نَصِرَ يَا رَبِّ) .

وَصَلَّى النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى جِثْمَانِ حِمْرَةَ أَوَّلًا .. ثُمَّ جَسَّءَ
بِالشَّهْدَاءِ وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ .. وَالنَّبِيُّ وَصْحَابُهُ يَصَلُّونَ عَلَى
كُلِّ مِنْهُمْ وَمَعَهُمْ (حِمْرَةُ) فَكَانَتْ صَلَاتُهُ يَوْمَهَا عَلَى عَمِّهِ
سَبْعِينَ صَلَاةً بَعْدَ غَيْرِهِ مِنَ الشَّهْدَاءِ ..

وَقَبْلَ أَنْ يُوَارَى جِثْمَانُ (حِمْرَةُ) رَضَوَانُ اللَّهُ عَلَيْهِ رَفَعَ النَّبِيُّ
وَجْهَهُ لِلسَّمَاءِ وَقَالَ : (رَحِمَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَإِنَّكَ كُنْتَ - مَا
عَلِمْتُ - وَصُولًا لِلرَّحْمِ فَعُولًا لِلْخَيْرَاتِ) .

صَدَقْتَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ..

وَرَضَوَانُ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا أَسَدَ اللَّهِ .. يَا حِمْرَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ